

إسماعيل عمر...

بصمة في الذاكرة الوطنية

✓ ميداس أزيزي

رحلت دون أن تودع رفاقك وأصدقائك ومحبيك. رحلت دون سابق إنذار، وكأننا في حلم أزلني دون أن ندري أنها الحقيقة المرة يا أبا شيار. رحلت ومازالت صدى كلماتك تدوي في آذاننا، وصمتا يهذي في أعماقنا. ما هكذا كان العهد يا عزيزنا وأنت الذي وعدتنا أن نكمل المشوار معا حتى نرى النور في آخر النفق. ولكن وعد الله وقدره كان اسبق.

نعم يا أبا شيار عرفناك مناضلاً صلباً دمث الأخلاق، صادقاً مع نفسه ومع الآخرين، هادئاً متزنًا. رجلاً يحترم كلمته ولا يلين أمام الصعاب، يترفع عن الصغائر حتى مع خصومه الذين أساؤوا إليه كثيراً، وكنت تتأى بنفسك عن الرد، وكان هذا ديدنك في العمل السياسي. فقد كنت صاحب رؤية استراتيجية في مداها الوطني، لا توفر جهداً، ولا تدخر نشاطاً في خدمة شعبك وقضيته. كنت موضوعياً في آرائك، حكيماً وشجاعاً في موافك، سواء بين بني قومك أو مع الآخرين. والحراك الوطني السوري يشهد بذلك، وتلك البصمات مازالت واضحة في كل المسارات السياسية.

ثلاثة أمورا كنت صاحب موقف ثابت عليها، وكنت ترددها في مجالسنا دائماً، العلاقة مع الحراك الوطني، واعتبار القضية الكردية قضية وطنية بامتياز، ورفع سوية الحوار كونها الطريق الأمثل لحل قضايانا.

وقد استحققت هذه الأمور أن جعلتك تؤمن بضرورة ترتيب البيت الكردي من خلال مرجعية وطنية وعبر خيمة المؤتمر الوطني. وعملت لسنوات في إطار المجلس العام للتحالف الديمقراطي الكردي في سوريا على تحقيقها.

وكذلك دفعتك هذه الممارسة إلى أن تكون مصراً على مشاركة جميع الفعاليات الاجتماعية والثقافية والسياسية المستقلة في القرار السياسي الكردي لأنك كنت تدرك جيداً ماذا كانت تعني الحلقة المفقودة في الحراك السياسي الكردي في سوريا.

نعم يا أبا شيار فقدناك ونحن من ندرك أهمية الذي فقدناه.....

خسرنا عميداً من أعمدة حراكنا الوطني، ونحن من يدرك هول المصيبة.

فطوبى لروحك الطاهرة.

وطوبى لكلماتك المستنيرة.

وطوبى لبصمتك الوطنية بوصلة... للأحرار في بلدي..... دمشق ١-١١-٢٠١٠

إلى روح المرحوم اسماعيل عمر، أبو شيار

هذا الفصام الكردي المستمر...

✓ ياسين الحاج صالح *

تساءل الصديق الشاب عما إذا كان حزب الوحدة الكردي في سوريا (يكي تي) "انفصالياً" أم عكس ذلك؟ سارع الشريك الكردي الوحيد في الأمسية إلى المشاغبة: انفصالي! قلت أنا مشفقاً إنه ليس كذلك. لكن ليست هذه هي الإجابة السليمة.

الواقع أن الأكراد السوريين جميعاً "انفصاليون". لدى جميعهم حلم قومي كردستاني، دولة كردية واحدة مستقلة وسيدة (وهم بهذا المعنى "وحدويون"... كردستانيون!). وإذ هم محرومون، خلافاً للعرب والتürk والفرس، من دولة تخصهم، وإذ هم محرومون بدرجات متفاوتة أيضاً من المساواة الفردية والجمعية مع مواطني القوميات الأكبر في البلدان التي يتوزعون عليها (سوريا، العراق، تركيا، إيران)، فلن يستطيع أي قيادي كردي أن يتخلى عن الحلم الكردستاني مهما بدت فرص تحقيق هذا الحلم ضئيلة. من يفعل ذلك يخسر على المدى القريب (تراجع شعبيته في الوسط الكردي)، وليس مؤكداً أنه سيكسب على المدى البعيد (تحقق المساواة الفردية والجمعية لقومه مع غيرهم). فلماذا يتخلى عن شيء يساهم اليوم في الحفاظ على الشخصية الكردية، ويمنحها عمقاً بشرياً ومعنوياً، ويقترح لها وعداً يشد من أزرها في الدفاع عن حقوقها وتطويع ثقافتها، وإن كان تحققه متعذراً؟ الواقع أن أهمية فكرة الدولة الكردية المستقلة تنبع بالضبط من بلورتها شخصية كردية متميزة، ومن صفتها كطموح قومي يرفع من اعتبار الكرد في عين أنفسهم أولاً، أكثر مما في الصفة العملية للفكرة. من دون حلم وتطلع مشترك لن ينالوا شيئاً، وإن لم يكن الحلم وحده كافياً لنيل أي شيء. ومن يدري، فقد يتحقق الحلم الكردستاني يوماً بطريقة ما، إن لم يكن بدولة قومية مستقلة، فغير المساواة مع الآخرين، في ما وراء الدول القومية وبعدها.

الواقع أيضاً أن جميع الأكراد غير "انفصاليين". تجد النخب الكردية ذاتها ملزمة بتطوير سياسات محلية تنصب على الحقوق الثقافية والاجتماعية والسياسية المتساوية في البلد الذي يعيشون فيه، سوريا في هذا السياق. مضطرون أن ينخرطوا في الحياة السياسية المحلية كسوريين وشركاء لمواطنيهم الآخرين ضمن كيان سياسي صلب، عاشت أجيال منهم فيه، ويحتمل أن تعيش فيه أجيال قادمة أيضاً. ولهم مصلحة أكيدة في العمل على تحويل الأوضاع العامة في البلاد في اتجاهات تعود بمزيد من الحريات والعدالة والمساواة على جميع السكان. من شأن الانشداد إلى الحلم القومي وحده (منفصلاً كحاله الآن عن أي ديناميات واقعية تقربه من التحقيق)، أن يُفقد النخب الكردية القدرة على التفاعل مع الواقع المعيش والتأثير عليه في اتجاهات أكثر عدالة، فضلاً عن الحرمان من شركاء محتملين من العرب، وغير الكرد عموماً. بل قد يكون الاقتصار الحصري على هذا الحلم غطاء لممارسات سياسية انتهازية، موجهة نحو الفوز بالشرعية في الوسط الكردي على حساب أطراف كرد آخرين، وهو ما يقترن عموماً بالمزايدة على هؤلاء الأطراف، وبالميل الانعزالي حيال البيئة العربية، من دون قدرة أكبر على التأثير في الواقع. هذا أمر محقق، وهو يلقي ضوءاً على النزعة الانقسامية النشطة في الوسط الكردي التي تجد أصولها الأعمق في واقع الانسداد الذي تعيشه الحركات الكردية، والقضية الكردية عموماً. إذ تصطدم بجدار الدولة القائمة الصلب، والمكرس دولياً، وطوال أجيال، أي إذا لا تجد حلاً عادلة لظلمة تاريخية لا شك فيها، تجد نفسها مسوقة نحو الانقسام أو حتى التحلل. حيال هذا المأل، يكون التمسك بالفكرة الكردستانية نهجاً لمقاومة التحلل. لا ينجح تماماً، لكنه مطلوب دوماً، ويشكل إطاراً لتوحد افتراضي.

هذه الجدلية تتحكم بالتنظيمات الكردية الكثيرة في سوريا. ومنها "حزب الوحدة الكردي في سوريا"، يكي تي، الذي توفي قائده اسماعيل عمر على نحو مفاجئ قبل أسابيع. نذكرنا عبارة "في سوريا" بمعادلات لها في أسماء تنظيمات قومية عربية، تعتبر نفسها فروعاً محلية لتنظيم قومي أوسع، يفترض أن يعمّ "الوطن العربي" كله. عمل الحزب المشارك في "إعلان دمشق" على أن ينخرط في الحياة السياسية السورية (المعارضة طبعاً)، وأن يكون له شركاء عرب، مع محافظته على اهتمام ثابت